توظيف العدد الأسطوري في رواية الحوات والقصر " للطاهر وطار "

The use of the legendary number in the novel Al-Hawat and Al-Qasr by Al-Taher Watar

د. حراز العيد

جامعة طاهري محمد بشار

(الجزائر)

Harraz1960@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/05 تاريخ القبول: 2020/11/29

ملخص:

لعلّ أبرز الظواهر الفنية التي تسترعي الانتباه في التجربة الروائية الجزائرية المعاصرة الإكثار من استخدام الرمز والأسطورة أداة للتعبير. ولاغرو إنْ استلهم الروائيون الجزائريون من التراث الإنساني الأعداد ذات الدلالات السحرية ـ من ذلك الثلاثة والسبعة والتسعة ـ ووظفوها في إبداعاتهم الحكائية توظيفا رمزيا.

ومن هذا المنطلق نحاول ـ في هذا المقال ـ الوقوف على أسس حضور العدد الأسطوري في رواية الحوات والقصر لأيقونة الرواية الجزائرية الطاهر وطار.

الكلمات المفتاحية:الرواية؛ التجريب؛ الرمز؛ الأسطورة؛ العدد.

Abstract:

The use of symbolism and myth as an instrument of expression is perhaps one of the most striking artistic phenomena in the experience of contemporary Algerian novelists. It is not surprising that the Algerian novelists of the human heritage drew a great number of magical connotations - of the three, seven and nine - in their symbolic creations.

It is in this context that we try - in this article - to rely on the presence of the legendary figure in the novel Tahar Watar and minors to the icon of the Algerian novel Tahar Watar.

KeyWords: Novel; Experimentation; Symbol; Myth; Number.

المقدمة:

إذا كانت العلاقة القائمة بين الحقول الأدبية المختلفة والأسطورة علاقة موغلة في القدم، فإنّ مرد ذلك التوصيف حسب بعض النّقاد عائد إلى أنّ الأسطورة – وبوصفها شكلا إبداعيا متميّزا — تغدّ المغامرة الأولى للمخيلة البشرية والتي سرعان ما ابتكرت "مغامرات جديدة عبّر كلّ منها عن الشرط التاريخي لعصره من جهة، وعن محاولات الإنسان الدؤوبة لتملك واقعه تملكا معرفيا ووجليا من جهة ثانية. وإذا كانت تلك المغامرات أشكالا تعبيرية اتسمت بالجدّة تماما، فإنها في الوقت نفسه لم تنتج قطيعة مع الأسطورة، إذ تضمنت في داخلها الكثير من خصائص التفكير والتركيب الأسطوريتين، كما جاءت استكمالا لفعاليات التخييل التي أبدعها الإنسان منذ أول ارتطام له بأسئلة الكون والوجود."[1] ومدار التساؤل فحواه ينصب حول الكون والوجود وبدايات الإنسان ومصيره، ومن هنا كان الإلحاح على إيجاد إجابات عن تلك الأسئلة الوجودية وعلى ذلك الخيط الناظم بين ما هو طبيعي وما هو فوق طبيعي.

وليست الأساطير – كما يزعم كثير من الناس– مجرد حكايات خرافية لا طائل من ورائها، بل هي نتاج فكر ووعي معرفي استعمله الإنسان منذ البدايات الأولى للوجود ليعبر من خلاله عن نظرته للوجود والحياة والموت، والصراع المحتدم بين الخير والشر، وقد تبلورت الأ.

التفكير المقدس أو "حكاية المقدس، ذات مضمون عميق ويشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان."[2] وهذا التفكير الإنساني المقدس لا تحده حدود معينة، ولا ينتهي إلى نتيجة خاصة، بل هو بحث دائم عن معنى الحياة وأصل الوجود، وعليه الأسطورة والفلسفة يتقاطعان في مواضيع عدّة خاصة ما تعلّق بالموت والعالم الآخر بيد أنّ "الأسطورة والفلسفة تحملان هماً واحداً، ولكنّهما تختلفان في طريقة التناول والتعبير، فبينما تلجأ الفلسفة إلى المحاكمة الفعلية وتستخدم المفاهيم الذهنية كأدوات لها، فإنّ الأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطفة والترميز، وتستخدم الصور الحية المتحركة"[3]ذلك أنّ الهمّ المنوط بالفلسفة بحث دائم عن الحقيقة المتوارية خلف الحجب، أي السعي الحثيث لرفع الحجاب عن تلك الحقيقة، أمّا الأسطورة فتتدثر بالذاكرة والخيال لتفسير ما يدور حولنا.

الرّواية والتجريب:

الرّواية من أشد الأجناس الأدبية ارتباطا بالحياة، وبعمق المجتمع، وهي من أكثر الفنون طوقا إلى سبر أغوار النفس البشرية، والتعبير عن قضاياها العصيبة، وذلك بإعادة إنتاج الواقع وإدراكه جماليا، والتقاط حركة تطوره اللامتناهيإنّها شكل من أشكال الوعي البشري، ومكون جمالي يعبر من خلاله الروائي عن أفكار ورغبات وأحاسيس الإنسان في صراعه الأبدي مع واقعه المرير، ومن ثمّ فالرّواية هي المرآة العاكسة للقيم و العلائق القائمة في مجتمع الكاتب الذي يفترض فيه أن يكون أعلق النّاس و أشدهم اهتماما بما هو واقعي حتّى وهو يمزج الحقيقية بالخيال، وغير خاف على متتبع النصوص الروائية الجزائرية ما تشكله من مضامين تمتح من التجريب والحداثة، وتتخذ من الرموز وممكنات المتخييل نقطة ارتكاز، بوصفها"التعبير الأمثل عن موتيفات غريزية كونية مختلفة، أو

أنساق من السلوك والمعتقد الإنسانيين."[4] هذه الأنساق المتعددة تدلّ على الثراء والتنوع الذي من شأنه أن يخلق لدى المتلقي بدائل عديدة تتضاد مع المألوف بل وتسعى أحيانا إلى التمرد عليه وإعادة صياغته.

وتسعى الرواية الجزائرية ـ بوصفها الملاذ الأرحب الذي يتيح للإنسان هوامش للتعبير عما يختلج دواخله من أحاسيس وهواجس تؤرقهـ إلى تشييد خصوصية التجريب و محاولة ملامسة آفاق وفضاءات تعبيرية جديدة، وذلك باعتبار أن التجريب أضفى على الكتابة شرعيتَها، وهذا ما جعل البون شاسعا وقائما بين الرواية الكلاسيكية والأخرى الحداثية هذه الأخيرة تروم إلى أسر المتلقي، ودفعه إلى فهم المقروء والإحساس به بطريقة تختلف اختلافا كبيرا عن تلك التي أرادها الكاتب، و لعلَ هذا ما يفسح أمامه المجال رحبا للقراءة والتأويل.

إنَ الرواية الجزائرية بهذا المفهوم التجريبي المعاصر" تشق من الواقع لتحدد شروط المثاقفة مع الآخر، ولتخبرنا بهواجس النهضة وإيقاع التصنيفات الاجتماعية، وتبديل القيم وتوالد اللغات داخل اللغة الواحدة، الأمر الذي أعطى للرواية مكانة مميزة وحساسة لأنها الشكل التعبيري الأقدر على التقاط صور وعلامات التحول، من خلال كتابة التاريخ العميق الخفي الممزوج بالزمن المعيش وبأسئلة الإنسان العربي داخل تاريخه الحديث المتسارع الإيقاع المزدحم بالأحداث والهزات، والإحباطات...وشيئا فشيئا أصبحت الرواية الجزائرية أكثر مكاشفة للذات...وطرح الأسئلة الصعبة عبر الرصد التفصيلي لتغيرات المجتمع والإنسان."[5]

ولئن كانت الرّواية بنية سردية في المقام الأوّل، وشكلا تُصب فيه رؤى وتصورات الإنسان، فإنّ هذا لا يمنع من كونها فناّ يهدف إلى بلورة القيم الفنية والجمالية والفكرية، والتقاط التغيرات الداخلية والخارجية للمجتمعات البشرية. ولعلّ هذه الفرادة، وهذا التميز خوّلها لتكون الأكثر انتشارا من بين الفنون الأخرى، والأعمق تعبيرا عن قضايا الإنسان الاجتماعية والسياسية والثقافية. إنّ القفزة النّوعية التي حققتها الرّواية الجزائرية المعاصرة لم تأت عبثا، وإنّما كانت نتيجة عوامل متعددة بين سياسية واجتماعية وتاريخية أيضا مكّنت الرّوائيين" التجريبيين " من الاعتماد على صيّغ سردية جديدة أتت بقوانين غيّرت نظام الكتابة المألوفة، وتخطّت عناصر الكتابة الكلاسيكية فظهر ما يسمّى بالرّواية الجديدة.

بيد أنّ الحقيقة التي لا مناص من الاعتراف بها هي خوض الرّوائيين الجزائريين غمار التجريب الرّوائي بوصفه مسلكا فنيّا يسمح بخرق السائد، ويؤسس لخلق نمط من الكتابة مغاير للمألوف، كتابة ذات بعد معرفي يَتخذُ منه المبدع منفذا لطرح أسئلة ترتبط بالواقع المعيش، وتحاول الإجابة عن قضاياه المعيشية، ومن ثمّ برزت نصوص بمواصفات جديدة تتناول مختلف أنماط التجريب جعلت السارد يسعى لتكسير النمطيّة والسكون، بحيث تمرّد على سكونية اللغة وصيغها الحكائية، وولج إلى ثنائية السرد والمسرود، فتبلورت آنئذ طرائق مستحدثة تضمّ خواص اللغة الرمزية وشعريتها، و اغتدى كتاب النصوص الحديثة مهووسين بالتجريب همهم الركض وراء أشكال تعبيرية جديدة من شأنها أن تساعدهم على إنتاج نصوص روائية ذات ملامح إبداعية "تتخطى الالتزام الاجتماعي والسياسي، ويمكن الكاتب من التعبير عن رؤاه تجاه واقعه "[6]فضلا عن صياغات فنية تؤلّف نسيجا سرديا يعلن عن تأثره بثورة التجديد التي مست حقول العلوم الإنسانية ونظريات القراءة.

إنّ من أكثر الظواهر الأدبية التي تلقى رواجا في الرواية الجديدة ظاهرة التجريب الرّوائي، والذي فسح المجال على مصراعيه أمام الكتاب الجزائريين لمساءلة الواقع والبوح بالمسكوت عنه قصد تشكيل عالم خاص مفارق للعالم الواقعي، ولكنّ ذلك لن يتحقق إلاّ بخرق الأعراف اللّغوية المألوفة في الجنس الرّوائي، وتلوينها بقيّم تعبيرية جمالية تثري من قيمتها الفنية والجمالية والفكرية. وعلى الرَّغم ممّا حققته من نجاح وإضافة على المستويين الجمالي والفني، فإنّ ملامستها لبعض الموضوعات الحساسة لم ترق إلى كسر القيود الاجتماعية والثقافية والأعراف والتقاليد المتحكمة في البنية الذهنية للمواطن.

إنّ ظهور حالة جديدة من الكتابة الروائية ـالوطاريةـ كان في الأصل استجابة ملحة لضرورة حتمية أفرزتها التحولات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري في شتى مجالاته الحياتية بحيث" يمكن أن نزعم أن مرحلة التسعينات وبداية الألفية الثالثة قد شهدت ظهور رواية جديدة باللغة العربية على يد جيل جديد نشأ وسط أحداث العنف الدموي المأساوي [...] ومن أهم خصائص رواياتهم التحرر من خصائص الرواية الكلاسيكية، والنزوع إلى الاستقلال عن الخطاب الإيديولوجي المهيمن، وإسماع خطاب الذات المقموعة، والانغماس في قضايا الواقع والتباساته، والعناية بالطرائق الفنية، والنزوع إلى التجريب والوعي المتزايد بالكتابة من حيث هي مغامرة في ذاتها"[7] ويبدو أن الطّاهر وطار كان له السبق من خلال رواية الحوات والقصر، وذلك قبل تسعينيات القرن الماضي تجاوز الأعراف السردية الكلاسيكية، وهذا ما سرَع أيضا بإيجاد نمط جديد من الكتابة، وبالتحرر من سكونية النص التقليدي.

نبذة عن الرواية:

تعالج أحداث رواية **الحوات والقصر** حياة صياد بسيط، إنَه **علي الحوات**، الذي ينتمي إلى **قرية التحفظ** إحدى القرى السبع التابعة للملكة، ويُعد علي الأخ الأصغر لإخوته الأشرار: **سعد و مسعود وجابر**، وقد صمم أن يهدي الملك هدية احتفاء بمناسبة نجاته من اغتيال تعرض له في غابة **" الوعول "** ولأجل تحقيق ذلك كان عليه أن يقطع **القرى السبع** وهي: **قرية التحفظ ثم الحطة والتصوف وأنصار الظلام، والأعداءوالأباة، وبني هرار**، ولماقرر القيام برحلته، ضرب بعرض الحائط نصائح من حذروه بأن" أحسن خدمة تقدم للقصر هي الابتعاد عنه. "[8] وبعد رحلة شاقة محفوفة بالمخاطر يصل إلى القصر،ليستيقظ من غفوته على سماع عويل العميان والطرشان، وهم يندبون يدهاليمنى التي بترها القصر... لقد استولى إخوته الشريرون على القصر خشية أن يكون مجيئه إليه بقصد نشر الخير فيه ...وعلى الرغم من بتر يده اليمنى يقرر العودة إلى الواد آملا أن يصطاد بيده اليسرى المتبقية سمكة يقدمها للسلطان، بيد أن رحلته هذه كانت أكثر دراماتيكية حيث فقد سمكته ويده اليسرى دون أن يصل إلى السلطان... وتستمر رحلته الثالثة من قرية التصوف التي شمله أهلها بالرعاية الكاملة، ونصحوه بالكف عن مواصلة القيام بمهمته اتجاه القصر، كما عرضوا عليه الزواج بعذرائهم، لكن كل ذلك لم يثن عزمه عن مواصلة مجابهة الخطر...فبمجرد أن تماثل للشفاء بعد أن قُطع لسانه ورُمي به بعيدا عن

القصر امتطى حصانا، واتجه يعدو به نحو القصر وقد تملكته الدهشة والحيرة من حراس المركز الذين لم يستوقفوه هذه المرة، بل عملوا على تحسين مظهره والعناية بهندامه، حتى يكون أكثر أناقة وجمالا... وفجأة يجد **علي الحوات** نفسه معصوب العينين يتنقل من يدي جارية إلى أخرى حتى أدخل ديوانا لم يكن فيه أحد، ولكنه سرعان ما سمع صوتا منبعثا من وراء الستائر يطلب منه أن يتكلم ، ليتبين أنه صوت أحد إخوته الثلاثة الذين نصبوا أنفسهم حكاما على القصر بعد أن اغتالوا السلطان... وتأتي نهاية هذه الحكاية الأسطورية مفتوحة على عدة احتمالات فمن قائل: بأن السمكة اختطفته وطارت به إلى وادي الأبكار، ومن حكاية أخرى تقول: بأن جنية عشقته فأعادت إليه كلَ أعضائه المبتورة واتخذته زوجا لها... ومن قائل: ما إن فقئت عيناه حتى صار وهجا، ارتفع إلى السماء، ثم صار شمسا، هبطت على القصر، فتحول إلى دخان أزرق، وعندما وصلت جيوش الانتقام، لم تجد سوى الرماد."9 والمهم، في كل حكاية **علي الحوات**، المهم أكثر من أي شيء، أن الحقيقة تجلت، وأنّ أعداء علي الحوات لم يستطيعوا أن يمنعوه من التعبير عن الخير الذي جاء بسم العصر به.

توظيف العدد الأسطوري في الرّواية:

تحظى بعض الأعداد في التراث الإنساني بأهمية بالغة، وتحاط بهالة من القداسة والتميّز، و الرّواية الجزائرية المعاصرة تزخر بعديد النصوص التي تشكل الأعداد في متونها الحكائية دورا مهما، ولعل الأعداد الأكثر حظوة وارتباطا بما هو سحري وعجائبي نجد الأعداد: " ثلاثة، وسبعة، وتسعة، التي نالت جميعها حظوة خاصة عند غابر الأمم وفي سالف المعتقدات، ليس بسبب تردد أصدائها، في جنبات المغامرات التالية لجذورها الأسطورية فحسب، بل بسبب ارتباطها بدلالات سحرية في الكثير من تلك المعتقدات، وفي بعض الديانات، ولدى عدد من الشعوب أيضا." [10]

ويبدو أنّ العدد أخذ مكانته المرموقة في التفكير البدائي لجميع الشعوب، وهو ...."موجود منذ العصور القديمة خاصة لدى السحرة والمشعوذين الذين تعاملوا كثيرا مع هذا العدد، الذي نجده يتكرر في أسطورة النسور السبعة في قصة لقمان بن عاد، حيث نجد كلّ شيء يتكرر سبع مرات: النسور السبعة، والبيضات السبعة، والأمكنة السبعة، والهواتف السبعة" [11]

والظاهر أنّ قداسةالعدد سبعة لم تكن قداسة ذاتية، وإنّما استمدها من الأساطير القديمة التي وظّفت هذا العدد، فضلاً عن وروده في المصادر الدينية، سماوية كانت أم وثنية. وبالنسبة للكتاب المقدّس فقد جاء ذكر العدد سبعة مرتبطاً بأسطورة الخلق والتكوين، والتي تقسم عملية الخلق زمنيّا على ستة أيام، كان سابعها فراغ الإله من عملية الخلق:" وفرغ اللّه في اليوم السابع من عملِه الّذي عمِل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنّه فيه استراح من جميع عمله الذي عمِلَ اللهُ خالِقا "[12]وورد أيضا في الكتاب المقدّس:"وَحَفَرَ جَمِيعُ الْمِصْرِيِينَ حَوَالَيِ النَّهْرِ لأَجْلِ مَاءٍ لِيَشْرَبُوا، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ مَاءِ النَّهْرِ. وَلَمَّا كَمُلَتْ سَبْعَةُ أَيَّام بَعْدَ مَا ضَرَبَ الرَّبُّ النَّهْرَ "[13] وتتجلّى قداسة العدد سبعة بأكثر وضوح في أسطورة الطوفان،

حيث كلّم اللّه نوح وبيّن له الأنواع التي يأخذها معه في الفلك فقال له: "ادْخُل أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ، لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ. مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْل عَلَى وَجْهِ كُلّ الأَرْضِ. لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّام أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْما وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ، فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ."[14]

أمّا في القرآن الكريم، فكان للعدد سبعة حضوره الديني البارز، والدّليل على ذلك أنّ معظم القصص التي جاءت في التوراة والإنجيل وردت في القرآن الكريم على الرّغم من بعض الاختلافات، حيث أنّنا"عندما نقارن ما جاء في القرآن ... بما جاء في التوراة والإنجيل لا تجد اختلافا كثيرا، فمعظم القصص التي وردت في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وردت أيضا في القرآن مع بعض الاختلاف في التفاصيل، مثل قصة خلق الكون، وحادثة الطوفان، وقصص الأنبياء..."[15]ونظفر في سورة يوسف – عليه السلام – بحضور لافت لهذا العدد، حيث يقول اللّه تعالى: ﴿وقال الملك إنّي أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، يا أيّها الملأ أفتوني في رؤياي إنْ كنتم للرؤيا تعبرون.﴾[16] وقد نجدها كذلك في قوله تعالى في سورة السجدة ﴿اللّه الذي خلق السموات الأرض وما بينهما في ستة أيام، ثمّ استوى على العرش....﴾[17]

وقد ذهب عبد الملك مرتاض إلى أنّ العدد سبعة (07) له مكانته وطقوسيته في الدين الإسلامالحنيف، فلا غرو إنْ كان لهذا العدد" في الإسلام شأنا من أي شأن، حيثُ يتكرر في كثير من الطّقوس، التي منها الحج حيثُ يكون الطواف بأنواعه الثلاثة حول الكعبة سبعة أشواط، والرّمي بسبع حُصيّات، والسّعي بين الصّفا والمروة سبع مرات... ويتردد عدد سبعة في القرآن الكريم أيضا كثيرا وبالحسبان يتردد أربعا وعشرين مرّة. ولم يحدث لأي عدد آخر أن يتردد مثله، ...مما يجعلُ لحضوره القوي في القرآن دلالة خاصة." [18]

وحين نستقصي التراث الشعبي بحثا عن توظيف العدد سبعة في ثقافات بعض الشعوب، فإنّ نلفيه يسجل حضورا متميّزا، وتواجدا ملفتا " فلروما الرّوابي السبع، و لليونان الحكماء السبعة، وللفضاء الكواكب السبعة، وللثريا النجوم السبعة، وللموسيقى الطبوع السبعة، وفي المسيحية واليهودية البقر السمان السبع والعجاف السبع، وللشمعدان الفاخر سبعة أغصان فيها تغرس سبع شموع، وفي كلّ الدّيانات السماوية الموبقات السبع، وفي اليهودية والمسيحية المزامير السبعة، وفي المسيحية الأسرار السبعة، والكلمات السبع للمسيح، وفي تاريخ الإنسانية العجائب السبع. "[19]وممّا سبق يبدو أنّ العدد سبعة يسجل حضوره المتميّز في تاريخ الأمم الغابرة، وهو يرتبط أيضاً بالقصص الشعبية الخرافية، كما ورد في قصة لقمان بن عاد والنسور السبعة، وكذا أسطورة أهل الكهف.

والظاهر أنّ هذا العدد قد ارتبط في وظائفه الأولى بالفكر الديني ذلك أنّ " الذي يقرأ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ويقرأ القرآن الكريم، يلاحظ هذا الرمز قد تردد كثيرا وبخاصة في التوراة والإنجيل، وحتى التشريعات التي نشأت عن هذه الكتب نجد بعضها مبنيا على هذا العدد"[20] وهذا ما تثبته الآية الكريمة من أنّ كلّ الشعوب، ومن خلال مصادرها الدينية مثلاً تجمع على أنّ اللّه قد خلق السموات والأرض في ستة أيام، وخصص اليوم

السابع للاستواء على العرش، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**. ﴾**21**

إنّ المتأمل للرواية الجزائرية المعاصرة يجد أنّها تزخر بالكثير من النصوص التي توظّف الأعداد في متونها الحكائية، ولعلّ الطاهر وطّار من أكثر الرّوائيين الجزائريين توظيفا للأعداد السحرية خاصة منها (07) والذي نكاد نظفر به في معظم فقرات المتن الرّوائي" الحوات والقصر " الذي نورد منه هذه المقاطع السردية:

"بعد اليوم السابع من رحلته في الغابات، يواصل قنص الوعول."[22]

"لقد خنقها بإصبعين وفي وسعي أن أخنق سبعة منكم بيد واحدة، من له اعتراض؟ "[23]

" أشعر أنني قد تضخمت سبع مرات. ولم أبق على الحوات القديم."[24]

" أرسلوا سبعة منهم، وطلبوا السلاح من أهل القرية، بادر الناس إلى تسليم سلاحهم مذعنين، وراحوا ينتظرون ماذا سيطلب منهم."[25]

"جلالته فوق كل تقدير، فوق كل خطأ. وجلالته أعلم بشؤون الرعية من الرعية. أنه منحوت في السماء السابعة بيد ربانية، وامتلأ في القصر بروح من الرب!"[26]

"علي الحوات وسمكته. علي الحوات ويده. علي الحوات والقرى السبع. هذه القضية، وهي كما ترون لا تساعد القصر على مواصلة التدجيل... كانت هده المسألة التي جاءت في آخر عرض العالم السابع، ولما استعد الحكماء السبعة لإعطاء إرشاداتهم وخطط العمل للمستقبل القريب."[27]

" احمرّت وجنتا العذراء فالتفتت إلى الجهة الأخرى وأفسحت المجال للصمت." وهجا كان تفتق عن قطب القطّاب، دار على الأرض سبع دورات، محفوفا بالحوريات والجنيات نزل بالوادي، تشكل على رأسه تاجا باهرا، طاف على القرى السبع، حملها على ذراعيه، وضمّها إلى بعضها، هوى قطب. ذاب جبل، تحوّل هو والتّاج إلى وهج.."[28]

" يقال إنّ علي الحوات، رفع من القصر بقوة خارقة. صارت السمكة التي كانت في إحدى برك القصر، حصانا بسبعة أجنحة، امتطاه على الحوات وطار به إلى وادي الأبكار، وأنّ الجنية الشبقة عادت له كلّ التي فقدها وتزوجته... يقال إنّ الهجوم تمّ فعلا وأنّ المراكز السبعة استسلمت قبل أن تصلها الجيوش الجرارة التي شكلتها القرى السبع. "[29]

"هذا هو اليوم السابع الذي غادرت فيه قريتي ولا أخفي عنكم، أنّني شاهدت من الغرائب والعجائب ما لم تره عين، ولم تسمعه أذن. "[30]

" يتعاون يا علي الحوات، على هذا العمل، سبعة أنبياء، وسبعة رسل، وسبعة مخترعين، وسبعة حكماء، وتأمل كثيرا في أن ينجحوا في أقرب وقت." [31]

ويبدو أن استخدام العدد سبعة بهذه الكثافة في هده المقاطع السردية يحمل دلالة سحرية ذات جذور أسطورية فالبطل علي الحوات بطل خارق يواصل قنص خصومه سبعة أيام وأكثر دون كلل أو ملل، وهكذا تتجلّى عجائبية

هذه الشخصية من خلال هذه "الثنائيات الضدية، والدالة على تخييل روائي يُعنى بالواقع، ولكن بوسائل غير واقعية، و يبدو علي الحوات شخصية إنسانية يمكن أن يكون لها مثيلها في أيّ من مجتمعاتنا الإنسانية الواقعية، على مستوى الممارسة والعلاقة بالآخرين [...] فهو شخصية أسطورية تمتلك من القوى ما يبدو خارقا للمألوف و متجاوزا لإمكانات البشر. " [32] ومن هنا، نلاحظ أنّ هذه الثنائيات أضفت على شخصية علي الحوات صفات خارقة تعزز كونه شخصية أسطورية حباها الله بقوة التزود الذاتي الخفية المفارقة لكل ما هو طبيعي.

إنَ توظيف العدد سبعة في رواية " **الحوات والقصر**" بهذه الكيفية دليل على أن الأعداد أضحت تشكل في حد ذاتها مرجعا غيبيا، ذا ارتباط بالذاكرة الجماعية وهذا ما يعني أن قارئ الرواية يُحال على خلفية اجتماعية وأسطورية تزجُّ به في عوالم ألف ليلة وليلة السحري، وهذا ما نقف عليه أكثر في قرية الأعداء أو مدينة الأباة، وهي آخر قرية وسابعها، وهذه القرية هي الأقرب موقعا من القصر، والأكثر عداء له، ولاشك أن طابعها ذو المعمار العجائبي ميزها عن باقي قرى السلطنة" قرية الأعداء تختلف عن باقي القرى. حتى عن قرية التحفظ بناؤها عجيب، ديارها في أسفل قرار سحيق، مبنية بصخور سوداء ومغطاة بقرميد من الحديد المطعم. وفي الأعلى، وعلى القمم السبع المحيطة بالقرار، أقيمت مظلة من الجرانيت، والإسمنت، تمتدّ على كامل محيطها، نوافذ صغيرة.... وفي الوسط تبدو نوافذ كبيرة لاشك أنّها أقيمت من أجل عبور أشعة الشمس إلى الأسفل." [33]

الخاتمة:

وفي الختام أقول: إنّ الطاهر وطار، وهو يوظّف الأعداد توظيفا أسطوريّا وبخاصة العدد سبعة، إنّما كان يروم من وراء ذلك إماطة اللّثام عن الذهنية الشعبية لمختلف شرائح المجتمع الجزائري التي تميل إلى الاحتفاء بالأعداد وبالأخص العدد سبعة لما له من سطوة على المخيلة الشعبية. ولعلّ هذا ما نظفر به في جلّ تضاعيف الرّواية إلى درجة أنّ المحكي الروائي بغياب الأعداد كان سيفقد الكثير من تنوعه الدلالي، والظاهر أنَ الطاهر وطار قد اختار لروايته لغة بسيطة خالية من التكلّف، فهي موجهة إلى الرّعية المغلوبة على أمرها، كما أنّها تعرّي ظلم وجبروت السلطة، وفي هذا المقام يقول وطار في حوار له:" رواية **" الحوات والقصر "** يمكن أن يقرأها الحلاق والفيلسوف ورجل السياسة. "[34] رواية شِيدت بلغة بسيطة نتاجها خيال الطاهر وطار العفوي البسيط، لغة شعرية في معظمها تخاطب مختلف شرائح المجتمع، وتعبر عن همومه، وتلامس قدر المستطاع بعض كوامنه، فتأتي بكلّ ما هو ممتع ومدهش، وفق«اجتهاد منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التوقعات المشروطة، التي تشمل المعالم الرئيسة لأوضاع مجتمع ما، أو مجموعة من المجتمعات، في فترة زمنية مقبلة. "[35]اجتهادٌ مكّن الرّوائي وباقتدار من توقع ورصد جملة من التحوّلات الاجتماعية، وذلك بفضل توظيفه المتفرد لتقنية السردية العجائبية لما تنطوي عليه من شحنات رمزية تستمد مرجعيتها من ظلال الأسطورة، إنها رؤية تصوّرت البنى العميقة للمجتمع الجزائري، وتهجّت ماضيه، وحاولت استشراف قضاياه المستقبلية، وهذا ما جعل الرّواية أكثر تشويقا وتأثيرا في نفس المتلقي.

الهوامـش:

1ـ نضال صالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط،2010،1قسنطينة،الجزائر، ص: 16

2- فرس السواح: الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، سوريا، ط،1997،1.ص:14.

3- نفسه، ص:13.3

4ـ نضال صالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية،2001 ص: 177.

5- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، ص: 298.

6- ينظر بوشوشة بن جمعة: مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة،ج1، بيت الحكمة المؤسسة الوطنية للترجمة، والتحقيق والدراسات، قرطاج1992،ص:07.

7- حسن المؤذن: جمال الجسد والكتابة في رواية: أشجار القيامة للروائي الجزائري: بشير مفتي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو.الجزائر.ع4.يناير.2009. ص: 60.

8- الطاهر وطار: الحوات والقصر، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.ص: 11.

9- المصدر نفسه، ص:197.

10- نضال صالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، ص: 178.

11- عبد الملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب(دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، والدار التونسية للنشر، تونس،1989م.ص:72.

12- الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الثاني. موقع الأنبا تكلاهيمانوت، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر، http: //st-takla.org

13- الكتاب المقدس، العهد القديم، الخروج. نفسه.

14- نفسه، الكتاب المقدس، العهد القديم، الإصحاح السابع..

15- محمد الأمين الصغير: العدد7 في التراث الديني والإنساني، مجلة المساءلة، اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد2،3. الجزائر1992.ص:133

16ـ يوسف الآية: 43.

17- السجدة، الآية: 03

18- عبد الملك مرتاض: عناصر التراث الشعبي في اللاّز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1987.ص:25.

19 – نفسه، ص، ن.

20- محمد الصغير: العدد سبعة في التراث الديني والإنساني، ص: 125.

21- سورة البقرة، الآية:.

22- الحوات والقصر، م، س، ص:7.

23- المصدر نفسه، ص:14.

24- المصدر نفسه، ص:116.

25 – المصدر نفسه، ص:51.

26 – المصدر نفسه، ص:77.

27- المصدر نفسه، ص:106.

28- المصدر نفسه، ص: 121.

29- المصدر نفسه، ص:195.

30- المصدر نفسه، ص:87. .

31ـ فرس السواح: الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، سوريا،ط،1997،1.ص:14.

32- نضال صالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية، م، س، ص:179.

33- الطاهر وطار: االحوات والقصر، ص:78.

34 - إدريس بودية: الرؤية والبنية في رواية الطاهر وطار، ص: 264. نقلا عن الطاهر وطار، في حوار مع مفتي بشير، ماروك لزهر، الشروق الثقافي،ع8- في 1993/09/08.ص: 05.

35- عواطف عبد الرحمن: الدراسات المستقبلية: الإشكاليات والآفاق مجلة الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 4، 1988.ص:14. 22.